القديس متى المسكين

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

القديس متى المسكين

مترجم عن الفرنسية من :

Monuments pour servir à l'histoire de
l'Egypte chrétienne 4e à 7e Siècle
texte copte publié et traduit par
E. Amélineau
Paris, Ernest Leroux 1895

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين ؟

أبينا الطوباوى المكرم رئيس الاساقفة

الأنبا كيرلس السادس

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مصادر المخطوطات القبطية

المكتبة الأهلية بباريس :

Bibliothèque Nationale de Paris.

متحف نابولى : Musée de Naples.

مكتبة القديس مرقس بالبندقية :

Bibliothèque St. Marc, Venise.

مجموعة اكسفورد :

Bibliothèque Bodléienne d'Oxford.

جاء فى السنكسار (٧ كيهك) ، وأيضاً فى هذا اليوم تنيح القديس التقى الروحانى أنبا متى . كان من مدينة بشناى ، وقد ترهب فى كنيسة السيدة العذراء المعروفة باسم « مجبابات Magbabât » . وذهب إلى إسنا وأصفون [1] ، وكان يتعبّد بنسك جميل . لم يكن ينام الليل ولا يستريح بالنهار وكان يقول : « الويل لنا فى ذلك اليوم الرهيب الذى فيه يجلس الرب ، وتفتح الأسفار ، ويحضر حساب كل واحد أمام عينيه منذ طفولته ، ويجازى عن كل أعماله الحسنة والرديئة » . إلى أن قال أن الوحوش الضارية كانت تأتى عنده فى الصحراء الداخلية حيث كانت قلايته ، فتخرّ أمامه ، وتظهر لطفها فكان يخرج لها خبزاً ويطعمها . . . .

† † †

(١) فى كرسى أسنا . ذكرها القريزى إذ قال : وكان بأصفون دير كبير ، وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر ، وأكثر نواحى الصعيد فواكه ، وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والزهارة . فخربت أصفون وخرب ديرها ، وهذا آخر أديرة الصعيد ، غرب النيل شمال أسنا .

حياة القديس متى المسكين

. . . سألت جمعاً من الاخوة القدماء من آباء الدير فعرفت بالضبط سيرة المتوحّد القديس أنبا متى ، وانه واضع أساس هذه الحديقة التى يملأ عبيرها كل ما حولها من البلاد بالأشفية التى منحهـا الله بواسطته لكل الذين يأتون إليه . فإن بعض الكتاب الذين تكلمنا عنهم كتبوا عن الفضائل البارزة فى جهاد أبينا القديس متى .

قال راوى سيرته : ـ أما أنا سرابيون الحقير ، فلانى لا أجيد الخطابة ، فسأقول بعض الأشياء الصغيرة كتلخيص لما رأيته بعينى لمجد الله .

عجيب جداً هو ارتفاع فضائل هذا الصدّيق ، وإنى إذ أنظر إلى قول بولس الرسول : « لانه إن كنت أبشر فليس لى فخر إذ الضرورة موضوعة علىّ . فويل لى إن كنت لا أبشر » . (١ كو ٩ : ١٦) ، أحاول أن أروى لكم عن بعض أعمال أبينا القديس أنبا متى ؛ لأنه من يستطيع أن يعرف كمال فضائله ؟

صدّقونى يا إخوتى المحبين لله ، لقد كان فى جيلنا أنطونيوس الجديد ، حتى أن الحيوانات المفترسة كانت تأتى لتسكن معه ،

وكان يطعمها فى مسكنه بالصحراء . وكان أيضاً نبياً فى جيلنا على طريقة أبينا القديس أنبا شنوده ؛ لأنه كما أن أبانا القديس أنبا شنوده قد فتح فمه ، وحكم على الخادم وجعل الأرض تنفتح وتبتلعه بسبب الشر الذى كان قد إقترفه ، كذلك جعل أبا متى الأرض أيضاً تنفتح وتبتلع المرأة الخاطئة غير المستحقة بسبب شرها الممقوت كما سوف نبيّن ذلك لكم بمشيئة الله .

وحدث لى يوماً ، أنا الحقير سرابيون ، أن أمرنى أبى قائلاً : « قم خذ معك هذا الوعاء الصغير المملوء ماء وهذه الأرغفة ، واذهب إلى القلاية فى الصحراء ، وامكث هناك اليوم وغداً ، حتى أصعد إلى هناك » . فقمت ومعى وعاء الماء الصغير والخبزات ، وسرت فوق الجبل نحو الصحراء ؛ ولما وصلت إلى المسكن الصغير ، فتحت الباب لأدخل ، فرأيت ضبعين مخيفين جداً ، وكانا مستلقيين فى المسكن ؛ أما أنا فخفت جداً لما رأيتهما[1] . . . . . فى الحال ، لأن الرب كان معه .

وقد اشتهر بمحبته العظيمة لله فى كل الجهة ، فكانوا يأتون إليه ، مسيحيون وبرابرة ، فقراء ومستشارون ، أرامل وأيتام ، فيغذيهم بمحبته لهم ؛ إذ رآهم عراة كان يكسوهم ويعطيهم قليلاً

(١) ينتهى النص هنا . وليس من الصعب أن نتصور تكملته .

من الزيت لكى يصرفهم بسلام الى منازلهم . وهذه المحبة العظيمة كان يصنعها لكل من يأتى إليه . وكانت بركته معهم فى كل زمان .

وكان أبونا القديس متى يصلى كثيراً ويقوم بخدمات كثيرة فى ديره الذى كان قد بناه وكرّسه باسم القديس أنبا باخوم ، المصباح المنير فى المسيح ، وقام فيه بكل تدريباته النسكية ؛ وما أعظم تلك التقشفات وأعمال النسك والعبادة التى كان يصنعها ليلاً ونهاراً ، حتى أنه سقط مرات كثيرة على الأرض من شدة الألم ، وكانت حياته فى خطر ، ولولا معونة الله ، وكان دائماً يلجأ إليه ، ما كان له أن يتحمل هجمات الشياطين ضده فى الليل والنهار .

فقد كان يراهم وجهاً لوجه ، علانية قريبين منه ، بأشكال كثيرة ؛ ولم يكن يفقد شجاعته ، بل كان يجتهد بالأكثر أن يقوم بعمله حسناً وهو يقول : « لتكن إرادة الله » ، وكان يتثبت بما قاله داود : « ملاك الرب حول خائفيه » ، ويضع ثقته أيضاً فى قول الإنجيل : « ها قد أعطيتكم السلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يستطيع أحد أن يضركم » .

ومرات عديدة بينما كان يقوم بخدمته ، كانت الشياطين تأخذ شكل التنانين والثعابين تمد رؤوسها بعضها نحو البعض لترعبه فى حقد وفى رعدة كاذبة، فما كان يقلق منهم وما كان ينقطع عن صلاته إلى الله حتى ينتهى من الخدمة ؛ بالجهد كان يلفت وجهه فقط نحوهم ويميل نظره قائلاً لهم : « لا تخدعونا أيها الشياطين بل انسحبوا ، انكم مخادعون ، وكذلك الشيطان أبوكم؛ وليطردكم المسيح » . وفى الحال كانوا يختفون من أمامه .

† † †

معجزات القديس

أحضروا إليه مرة فتاة صغيرة مريضة ، وكانت جميلة الصورة جداً ، وكانت الشياطين تعذبها كثيراً حتى كانت تصدر منها صرخات عالية حينما كان الشيطان يدخل فيها، فكانت تصرخ على طريقة الخنازير ، وكانت تقول كلمات كثيرة فارغة ؛ ثم كان الشيطان يلقيها إلى الأرض، فكانت تزبد وكانت تمزق ملابسها، ولو لم يمسكها ذووها بشدة ، لكانت تتعرى من ملابسها وسط الجميع . أخذها أهلها ، وذهبوا نحو أبينا القديس متى ، وظلوا يرجونه من أجلها قائلين : «أشفق عليها يا أبانا لأنها إبنة وحيدة».

أما هو فبسبب تواضعه العظيم ، كان يقول لهم : « ما هى قيمة متى المسكين حتى يخرج الشياطين ؟ لأنى أنا خاطىء ولا أستحق عملاً كهذا ؛ لكن خذوا لنفسكم قليلاً من زيت القنديل فى الكنيسة ، وادهنوها به باسم يسوع المسيح وسوف يدركها الخلاص » .

فأخذ أبو الفتاة الصغيرة قليلاً من الزيت من يد أبينا ، ورشمها به باسم الآب والإبن والروح القدس بصلاة القديس أبا متى . وفى الحال أمسكها الشيطان وألقاها على الأرض حتى أن كل من رآها كان يقول « إنها ماتت » .

أما أبونا فحينما رأى وحشية هذا الشيطان الشرير والعذاب الشديد الذى كان يصيبها منه ، سار نحوها بعصاه الصغيرة فى يديه ، ورفعها على الفتاة الصغيرة قائلاً : « أيها الشيطان النجس ، أخرج منها ، وكفّ عن أن تعذب صورة الله » . فلما سمع صوت القديس أبا متى ، صرخ منها قائلا : « كفاك تعذيباً لى ، أتريد أن تخرجنى من بيتى ؟ حىّ هو المبارك إلى الدهور ، فلن أعود إليها أبداً » ، وخلصت الفتاة فى تلك الساعة ؛ وأخذها أهلها وذهبوا إلى منزلهم ممجّدين الله وشاكرين أبانا متى .

ماذا أقوله وماذا أتركه من بين عجائب القديس أبا متى ؟

لأن أشخاصاً عديدين إذا ضعف قلبهم أو أصبحوا معتوهين ، كان أهلهم يأتون بهم مقيدين بسلاسل من حديد وهم يصرخون ، وحينما كانوا يصلون إلى الدير ، كانت القوة التى تسيطر عليهم تنسحب فى الحال بصلوات القديس متى. وآخرون أيضاً مما كانوا قد أخطأوا بالسحر ، وكثيرون من العجزة بأجسادهم ، إذ كانوا يرتمون عند قدميه ، فيصلى عليهم ، كانوا يشفون فى الحال. وكان فرح عظيم فى كل هذه المقاطعة بسبب الفضائل والعجائب التى كانت تتم على يد القديس متى رجل الله .

من ذا الذى أتاه متألماً فى قلبه ولم يرجع من عنده فرحاً ؟ من هو الراهب الذى حضر عند قدميه من أجل منفعة نفسه بسبب قساوة الشياطين الذين يعذبونه ، ولم يعزِ قلبه ولم يقوّه قائلاً : « لا تخف » . وكان يقول : « يا أولادى ، ان الذين يحاربوننا عاجزون أمام الذين يحاربون من أجلنا . ماذا تستطيع أن تفعل الشياطين بالنسبة لما يستطيع أن يفعله الملائكة الذين يحاربون من أجلنا ؟ لأنه إذا كنا نتحمل التجارب ، فإن الله نفسه يستجيب لنا بسرعة » .

من هو الإنسان الذى أتاه مرة وهو قاسى القلب ، ولم يجعله

عجباً ؛ وكان يقول : « ان الرب يحسبكم أمناء صالحين لكى تعطوا للفقراء والمساكين . أليست هناك مساواة لكل البشر ؟ » .

وكان الفقراء أيضاً يقصدونه فيعزّيهم ويعطيهم صدقة ويصرفهم قائلاً : « يا أولادى الأحباء ، تحمّلوا الإحتياج فى هذا المكان ، لكى تنالوا خيرات ملكوت السموات » .

كان يعزّى كل واحد بكلمات الحياة ويحثهم على الصبر ، ويغذى كل من يأتى إليه بأحاديثه المقدسة المملوءة بأقوال الكتب المقدسة ، ولا يفتر عن الصلاة إلى الرب فى كل وقت ، ليلاً ونهاراً .

وحدث مرة أن بعض الرجال أحضروا إليه إمرأة كانت قد إقترفت شراً عظيماً ، وحبلت ومرت التسعة شهور ولم تلد ، بل بقيت فى خطر عظيم إلى آخر الشهر العاشر . أما أهلها . فلما رأوها فى هذه الحالة الخطرة ، قالوا فى أنفسهم : « لنذهب بها عند قدمى رجل الله العظيم أبا متى لكى يصلى عليها ، وسوف يأتيها خير » . فحملوها على دابة إلى الدير عند قدمى القديس لكى يصلى من أجلها .

ولكن قبل أن يصلوا إلى الدير بستة أميال ، أعلم القديس

متى برؤية قيس له فيها : « أنظر من سقف الكنيسة تر رجالا يأتون إليك ومعهم إمرأة هى ملك للشيطان . فحينما يقتربون من الدير ، قم استقبلهم ، ولا تدعهم يدخلون هذا الدير ، بل تكلم معهم من الخارج . لأنهم لا يستحقون أن يدخلوا هذا الدير ، وأن نهاية المرأة أيضاً لقريبة » . فذهب أبونا إلى سقف الكنيسة ، ورأى رجالا يأتون إليه ، وكانت المرأة راكبة على الدابة وكان التراب يحيط بها وبالدابة التى كانت راكبة عليها .

فنزل أبونا القديس ونادى الإخوة الجالسين بالقرب منه فى الدير وقال لهم : « لنخرج خارجاً حتى يحضر هؤلاء الناس ، لكى نتكلم معهم ، لأنهم لا يستحقون أن يدخلوا فى هذا المكان المقدس » . وسار القديس أمام الإخوة ، وذهبوا خارج باب مسكنهم ، ووقفوا ينتظرون وصول الرجال ومعهم المرأة غير المستحقة . فلما وصلوا إلى أبينا القديس متى وإلى الإخوة والتمسوا بركته ، رجاه والد الفتاة قائلاً : « يا أبى القديس ، اشفق على هذه البائسة التى أحضرتها إلى قداستكم لأنها تتعذب » .

فقال لهم : « لنذهب قليلا خارج هذا الدير حتى نرى ما يحدث » . ثم نادى هذه المرأة المرذولة وقال لها : « لماذا

أنت هكذا أيتها المرأة ؟ أعلنى بكل سيرتك ، ولا تكذبى فى حضرة الرب » .

أما هى فقالت : « إن الخطيـــة التى صنعتها عظيمة ؛ فقد اضطجع أخوان معى ، وحينما حملت لأول مرة دون أن يعلم أحد ، وبعد ستة شهور ذهبت إلى ساحر ، وأجهضت نفسى ، ورأيت الطفل الصغير كاملا فى كل أعضائه ، فأخذته وألقيته للكلاب فأكلته . وعدت مرة أخرى إلى الزنا معهما وظللت معهما فى الخطية ، وقد مرت عشرة شهور منذ حملت من الأخ الأكبر الذى اتخذته رجلا لى ، وكنت أضطجع مع الأخ الأصغر دون أن يعـــلم أحد خطيتى سوى هو وأنا ؛ ولى سبع سنين معه » .....

وذكر السنكسار عن هذه القصة أن الأرض إنشقت وابتلعتها .

وحدث يوماً أن ولداً صغيراً كان قد صعد فوق جسر ، لينظر إلى الدواب الخاصة بدير أبينا القديس متى ، فأسقطه الشيطان فى الترعة ، فغرق . وبعد ساعة كان الجمع الذين أتوا على الجسر يصرخون . فسمع أبونا صراخهم فذهب ووقف عند الترعة ، وقال لهم أن يصعدوه .

وحينما أصعدوه إليه فاقد الحياة ، حمله على ذراعيه ودخل في المكان الذى كان يعتزل فيه ولم يدع أحداً يدخل معه . وبعد ساعة من الصلاة على الولد الصغير ، أعطـــاه الله الرحوم نفخة حياة ، وعاش من جديد . وأعطاه القديس بعض الخبز والبلح ، وأخذه معه بمسكاً بيده وسلمه لوالديه سليما معافاً ، كما لو لم يكن قد حدث شيء .

أما الذين رأوا ما حدث فكانوا يصرخون ممجدين الله . وقال القديس متى لوالديه : «أعطوا مجداً لله على النعمة التى وهبها الله للولد الصغير ، لأنه ماذا يساوى متى المسكين ؟ إنى المحتاج إلى صلوات القديسين » .

وحدث أيضاً يوماً فى عيد أبينا النبى الآنبا شنوده ، أن أتى إليه عدد كبير من الرجال من أهل الشمال وأخذوا بركته وكان يعلمهم جميعاً خلاص نفوسهم . وإمرأة من هذا البلد خرّت عند قدمى أبينا القديس متى وتوسلت إليه قائلة :

يا أبى القديس أذكرنى فى صلواتك حتى يمنحنى الله ولداً ، فإذا سرّ الرب أن يتحنن علىّ ، فإنى حينما أفطم الثمرة التى يعطينى إياها الرب ، سوف أحضره لأعطيه لقداستك ؛ فإن كان ذكراً ، أقدمه للدير تحت أمر قداستك لكى يصير راهباً إلى آخر حياته .

وإن كانت أنثى ، أقدمها لدير العذارى لكى تصير راهبة . فسوف يكون من يعطينى إياه الرب بصـــلواتك نذراً للرب كل أيام حياته » .

فبارك أبونا القديس متى المرأة قائلاً :

« الرب الإله القـــادر على كل شيء الذى إستجاب لحنة وأعطاها صموئيل الذى صار نبياً فى كل إسرائيل ، يستجيب لك أيضاً ، ويعطيك طلبك الذى تطلبينه بين يدىّ الله ، بدون تأخير . وأنت أيضاً احفظى الكلمة التى قلتها : ليكون نذراً للرب الإله » . وأعطاها بركة الدير ثم صرف الجميع بسلام .

وعندما رجعوا إلى بيتهم ، أعطاها الله الرحوم سؤلها ، فحملت وولدت إبناً ذكراً ودعته متى . ثم صار فرح عظيم فى بيتهم وعند الجميع بسببه . وكبر الطفل وفطموه من لبن أمه ، وكان يجرى خارجاً وهو يضحك مع الأولاد الصغار من سنه . فقالت الأم لأبيه : « قم وخذ بعض المؤن وقليلاً من البخور ، لكى نحملها هدية إلى الرجل العظيم القديس متى ونعطيه الولد الصغير ، لأننا قبل أن أحمل ، قد نذرنا أن نقدمه للدير » .

ولكن الأب أحضر بعض تجار الرقيق وقال لهم : « بحسب

ما تشترون وتديمون قولوا لى كم يساوى هذا الولد الصغير لو بعته » . فرأى التاجر أن الطفل كان جميلاً ، فقال للوالد : « لو بعته لى ، أعطيك فيه عشر قطع ذهب » . فقام أبوه وأخذ معه إثنى عشرة قطعة من الذهب ، وبخوراً ، وركب سفينة مع أناس كانوا فى طريقهم إلى دير القديس النبى الأنبا شنوده . فعندما وصلوا إلى إخميم وجد سفينة أخرى ، فركبها مع بقية الرجال لتقلهم إلى دير القديس متى . وعندما صعدوا إلى دير أبينا أبا متى ، وأخذوا بركته جلسوا بالقرب منه ، فكلمهم بعظائم الله.

وأعطاه والد الطفل طرد البخور قائلاً : « يا أبى أقبل من يدى طرد البخور الصغير هذا لتخصصه للذبح ، لأنه بخور مسكه » . ثم قدم له اللفة الصغيرة التى كانت بها قطع الذهب وقال له : « يا أبى أقبل منى هذا الثمن الصغير للولد الصغير الذى منحنى إياه الله بصلواتك ؛ لم أستطع أن أحضره لك ، لأنه إبن وحيد. حىّ هو الرب، بصلوات القديسين قد ثمنته بحار الرقيق بعشرة قطع من الذهب ، ومعى إثنتا عشرة قطعة من الذهب أحضرتها لتخصصها للذبح من أجل ولدى الصغير ».

لكن أبانا القديس متى إبتسم وقال : « يا بنى أيبيسع منى المسكين أولاد الدير بالذهب ؟ ماذا تريدنى أفعل بهذه القطع ؟

خذها. واسرع إلى بيتك،وهناك أناس بالقرب منك؛ فإن أردت يمكنك أن تتصدق عند بيتك . هل يقبل متى ذهباً أو فضة من أجل عطية الرب ؟ » .

وبعد ذلك نادى أبونا آبا متى رئيس الدير وقال له : « قم إذهب خذ لنفسك سلة جديدة ونصف مفرش له أهداب جديدة وثلاث بكرات من الأربطة، وضعها أسفلها ثم الخبزات فوقها، واملأ السلة بالبلح وبالفاصوليا ، واعطها للرجل وقل له : « خذ هذه البركة الصغيرة واذهب بسلام » .

وصنع الرئيس كما أمره القديس أبا متى ، وأحضر السلة وأعطاها للرجل ومن كانوا فى صحبته ، فأخذوا بركة أبينا ومضوا بسلام .

وصنع الرئيس كما أمره القديس أبا متى ، وأحضر السلة وأعطاها للرجل ومن كانوا فى صحبته ، فأخذوا بركة أبينا ومضوا بسلام » .

ولما رجع الرجل روى لزوجته ما حدث له وأخبرها بالكلمات التى قالها له أبونا متى عندما لم يقبل قطع الذهب ، وعندما أخرجت المرأة الخبزات والبلح ، وجدت فى قاع السلة

ثلاث قطع من الشمع ، ولما سألت زوجها عنها قال : « لا شك ان الأخ لم يكن يعلم ان هذه الاشياء موجودة فى القاع ، وقد وضع الجرات فوقها عن جهل » .

ولكنه فى صباح اليوم التالى ، رقد الولد الصغير مريضاً ، وبعد ثلاثة أيام إستراح الطفل الصغير حسب أمر الله . وأعطاه أبوه النصف مفرش والاربطة . . . . . وعلم أبا متى أن الطفل الصغير قد مات بعد مرض لم يستمر إلا ثلاثة أيام مثالاً للثلاث قطع من الشمع التى كان وضعها فى القاع ولم يكن يريد أن يعلم أباه بذلك . وعندما علم بذلك الناس جميعهم ، تعجبوا مما حدث .

وكان فى بابلون إمرأة من مدينة إسنا أصلاً . وعندما أتت ساعة موت زوجها قال لها : « أعط سفينتى لدير أبا متى إذا كنت أخرج من الجسد ، وسوف يكفيك الخير البسيط الذى لنا إلى يوم مماتك . فليس لنا ولد ؛ فتكون التقدمة تذكاراً لى ، لأنى بائس وليس لى أقارب » .

ولكن المرأة عندما مات زوجها ، دخلها الشيطان وقال لها: « كيف تتنازلين عن السفينة ؟ انها هى التى تمدك بالرزق » .

فقالت فى نفسها : إذا كنت أحتفظ بالسفينة لنفسى فكل ما أربحه فى كل سنة ، أحتفظ بجزء منه لنفسى وأرسل جزءاً تقدمة من أجل زوجى لدير أبا متى » .

تفكرت المرأة بهذه الاشياء فى قلبها ، ولم تكد تمر عشرة أيام حتى نزل البحارة إلى بابلون ليقولوا لها : إن ريحاً عظيماً قامت بالقرب من جبل آمون ، وخسرنا السفينة ومات ثلاثة رجال من الركاب . واستعملنا كل قوتنا ، ولم نستطع أن نحتفظ بشىء من حمولة السفينة ، وقد تحطمت السفينة » . فحزنت المرأة جداً وقالت : « إنى لم أعط سفينتى لدير أبا متى ، وقد خسرتها » .

ومرة أخرى توغل القديس فى الصحراء الداخلية حتى بلغ بؤرة فى صخرة ، وكان هناك ضبع قد ملأ فمه بملابس القديس فسار معه نحو الصخرة ، إلى أن بلغها . ولما توقف نظر أبونا إلى أسفل فى فتحة الصخرة ، فرأى ضبعاً صغيراً كان قد هوى وهو يتبع أمه ، ولم يستطع الصعود ثانية . فنزل أبونا وأخرج الضبع الصغير ، فجرت أمه وأخذت تلعق قدمى أبينا أبا متى ، وظلت تنظر إليه وتشكره لأنه أصعد صغيرها .

عظيمة هى الفضائل والمعجزات التى صنعها الله بواسطة

القديس أبا متى . كل شتلة فى الأرض عمرها شهر يحلمونها ويحضرونها للدير كان يأخذها ويزرعها بيديه فى الحدائق والحقول التابعة للرهبان ، النخيل أو الكروم أو أشجار التين أو غيرها . وكان يقول شاكراً الله : « ليس الزارع ولا الساقى ، لكن الله الذى ينمى » . وحىّ هو الرب ، ما من شجرة زرعها مائت ، بل كانت جذورها تثبت وفى أسبوع يخرج فرع جديد ، وكانت أشجار الفاكهة الصغيرة والكروم وأشجار التين والزيتون وأنواع الأشجار الأخرى تحمل ثماراً فى نفس السنة ؛ وعدد كبير من النخيل أيضاً كان يأتى بثمار فى بحر ثلاث سنين . فكل ما كان يزرعه كان ينمو نمواً عظيماً لأن نعمة الله كانت معه فى كل شىء يعمله .

وكان يجمعنا لكى يكلمنا عن وصايا الحياة ، ويقول لنا فى كل وقت : « نحن نحمل رداء مقدساً لأننا رهبان ، فلنصنع ثمار الرهبنة ؛ كأشجار فلتأت بثمار جيدة . ألم تسمعوا قول الإنجيل: لا يجنون من الشوك عنباً ولا من الحسك تيناً . فلنحذر حتى لا يكون قول الإنجيل علينا ، إذ يقول : كل شجرة لا تأتى بثمر تقطع وتطرح فى النار . لا يا أولادى ، لا ندع أنفسنا نطرح فى النار ، بل نكون مستعدين . حينما تكون الحبّة فى جرابها فإن

بها بركة الرب » . وإذ كان يقول هذه الكلمات ، كنا ننظر إليه كأنه ملاك الرب .

وبعد ذلك قام أبونا متى وصعد إلى الصحراء ولم يخرج منها لمدة سبع سنين ؛ ثم نزل من الصحراء ودخل مسكنه . أما نحن فقمنا وذهبنا لكى نتبرك بقداسته ، وبعد أن بقينا معه بعض الوقت ، تحدث إلينا قائلاً .

« حدث لى فى هذه الليلة بعد أن أكملت صلاتى ، أن نعست قليلاً على المقعد الصغير الذى أجلس عليه عندما أقوم بعملى اليدوى . فإذا بى فى رؤية ، بجانبى أخوان راهبان بمجد عظيم . فقالا لى: قم تعال سريعاً لمقابلة آباء الرهبان أنطونيوس، وباخوم، وتادرس ، وأبينا موسى وأيضاً الشيخ الذى أنبا شنوده . فقلت لهما : وأين هم آبائى القديسون ؟ فقالا لى : انهم فى منطقة يملكها أبا بقطر الأرشمندريت . وبينما كنت أسير أمامهما ، رأيت خارج باب الدير جمعاً كبيراً من الرهبان ؛ فأتوا جميعهم وقبّلونى وقالوا لى : حسناً حضرت إلينا فى شركتنا لكى تصحبنا إلى أورشليم السمائية . ورأيت باباً كبيراً وسوراً للحائط ، فقلت : ان الحائط وفتحة الباب مرصّعتان بالذهب وبالأحجار الكريمة بكل لون . ولما وصلت بالقرب من الباب ، سمعت صوتاً يقول : إفتحوا

فتحة الباب ، حتى يدخل متى ، وليسوع الشيوخ له حسابه ، لانهم جاءوا من أجله . أما أنا فخفت وارتعبت ، ورأيت طريقاً كبيراً للنزهة نحو ميل أو ميلين ، وعلى جانبي الطريق عروش عديدة يجلس عليها رهبان كثيرون فى مجد . فقلت للواقفين معى : من هم هؤلاء الجلوس على عروشهم ؟ قالوا : انهم الآباء رؤساء الأساقفة ، والكهنة ، والمطارنة ، وآباء الأديرة وأبناؤهم فى الرهبنة يجلسون بالقرب منهم ، يعطى كل واحد حساب أولاده فى الرهبنة وحساب من حضروا إلى ديره. ثم قالوا : أنظر إلى هؤلاء الأربعة الجالسين على العروش داخل الأبواب ، حتى تعرفهم ، وأشار أحدهم إليهم بأصبعه واحداً فواحداً قائلاً : هذا أنطونيوس ، وهذا باخوم ، وهذا تادرس مع بترونيوس ، وهذا الأنبا شنوده من جبل إتريب ، وهذا مقاريوس ، من جبل شيهيت. أما أنا فكنت فى خوف ورعدة ، وخررت على الأرض لأكرمهم . فقال أحد الوقوف وكان فى شكل مُحضر ومعه مذكراته فى يده : يا متى قم حالاً ، إذهب إلى دبرك ، واحضر كتبك ، واجلس حتى تعطى حساباً عن دبرك ، لانهم سوف يمسكونك أنت وأبناءك الرهبان الذين بجانبك من أجل ذلك . حىّ هو الله ، إن كل وصية أو صلاة

أو صوم قد تعداها أولاد ديرك بدون ضرورة ، بسبب المرض ، وبالأخص خدمة الباب أى الصدقة ، إذا كنتم مهملين تسأل عنها بلا شك ، سواء أكان ذلك تجاوزاً منك أو من أولادك الرهبان. وهذا سيطلب منك فى اليوم السابع من هذا الشهر . وكان يوم الرؤية هو اليوم الثالث . أما أنا فصحوت وبينما كنت أفكر دخلتم أنتم . فالآن إذن يا أولادى الاحباء ، أحييكم فى الرب ، لأنه حسب ما رأيت ، لا يزال أمامى ثلاثة أيام أقضيها فى هذا العالم . ليحفظكم الرب أنتم وكل أهل هذا الدير ، ويحميكم ، ويخلصكم من أيدى الأمم ؛ لأنه بعد موتى ، سوف تكون عذابات عظيمة على الأبناء . وسوف يترك كثير من المسيحيين ديانتهم المقدسة ليكونوا مع الأمم فى ناموسهم ، ويشتركوا معهم فى هرطقتهم . وسيتركون التقليد ، فاحذروا جيداً يا أولادى ؛ وصلوا وأقيموا عبادتكم ، واحفظوا خدمة الباب فى كل شىء مع مراعاة أعمال الصدقة. واستمعوا كلكم لأبيكم بيمين Pamin لأنه هو الذى إختاره الله لكى يرعاكم ، أنتم والذين يأتون إلى هذا الدير ، وهو بعد الله ، أبوكم كلكم وأبو هذا الدير ، لأن وقتى اقترب ويجب أن أذهب إلى مكان راحتى ».

وفى صباح اليوم الرابع من كيهك رقد أبونا مريضاً. وذهبنا

فتحة الباب ، حتى يدخل متى ، وليسر الشيوخ له حسابه ، لأنهم جاءوا من أجله . أما أنا فخفت وارتعبت ، ورأيت طريقاً كبيراً للنزهة نحو ميل أو ميلين ، وعلى جانبي الطريق عروش عديدة يجلس عليها رهبان كثيرون فى مجد . فقلت للواقفين معى : من هم هؤلاء الجالوس على عروشهم ؟ قالوا : انهم الآباء رؤساء الأساقفة ، والكهنة ، والمطارنة ، وآباء الأديرة وأبناؤهم فى الرهبنة يجلسون بالقرب منهم ، يعطى كل واحد حساب أولاده فى الرهبنة وحساب من حضروا إلى ديره. ثم قالوا : أنظر إلى هؤلاء الأربعة الجالسين على العروش داخل الأبواب ، حتى تعرفهم ، وأشار أحدهم إليهم بأصبعه واحداً فواحداً قائلاً : هذا أنطونيوس ، وهذا باخوم ، وهذا تادرس مع بترونيوس ، وهذا الأنبا شنوده من جبل إتريب ، وهذا مقاريوس ، من جبل شيهيت. أما أنا فكنت فى خوف ورعدة ، وخررت على الأرض لأكرمهم . فقال أحد الوقوف وكان فى شكل مُحضر ومعه مذكراته فى يده : يا متى قم حالاً ، إذهب إلى دبرك ، واحضر كتبك ، واجلس حتى تعطى حساباً عن دبرك ، لأنهم سوف يمسكونك أنت وأبناءك الرهبان الذين بجانبك من أجل ذلك . حىّ هو الله ، إن كل وصية أو صلاة

أو صوم قد تعداها أولاد ديرك بدون ضرورة ، بسبب المرض ، وبالأخص خدمة الباب أى الصدقة ، إذا كنتم مهملين تسأل عنها بلا شك ، سواء أكان ذلك تجاوزاً منك أو من أولادك الرهبان. وهذا سيطلب منك فى اليوم السابع من هذا الشهر . وكان يوم الرؤية هو اليوم الثالث . أما أنا فصحوت وبينما كنت أفكر دخلتم أنتم . فالآن إذن يا أولادى الأحباء ، أحييكم فى الرب ، لأنه حسب ما رأيت ، لا يزال أمامى ثلاثة أيام أقضيها فى هذا العالم . ليحفظكم الرب أنتم وكل أهل هذا الدير ، ويحميكم ، ويخلصكم من أيدى الأمم ؛ لأنه بعد موتى ، سوف تكون عذابات عظيمة على الأبناء . وسوف يترك كثير من المسيحيين ديانتهم المقدسة ليكونوا مع الأمم فى نواميسهم ، ويشتركوا معهم فى هرطقتهم . وسيتركون التقليد ، فاحذروا جيداً يا أولادى ؛ وصلوا وأقيموا عبادتكم ، واحفظوا خدمة الباب فى كل شىء مع مراعاة أعمال الصدقة. واستمعوا كلكم لأبيكم بيمين Pamin لأنه هو الذى إختاره الله لكى يرعاكم ، أنتم والذين يأتون إلى هذا الدير ، وهو بعد الله ، أبوكم كلكم وأبو هذا الدير ، لأن وقتى اقترب ويجب أن أذهب إلى مكان راحتى » .

وفى صباح اليوم الرابع من كيهك رقد أبونا مريضاً. وذهبنا